



الفكر الديني للعصور الوسطى الاوربية (او غسطين وتوما الاكويني نموذجا)

م.م. سجي محمد علي مجيد
كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العراق
البريد الالكتروني: Saja.m@coeduw.uobaghdad.edu.iq

الملخص

يعد الفكر الديني للعصور الوسطى الاوربية من المواضيع المهمة التي تبين لنا مفهوم الفكر الديني وتأثيره على طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية للعصور الوسطى الاوربية وتبين علاقة رجال الدين والكنيسة بالمجتمع الاوربي ، حيث تبين هيمنة رجال الدين على كافة جوانب الحياة نتيجة لسقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب الاوربي، واصبحوا الامر والناهي للسلطات الدينية والدينية على حد سواء . ومن ابرز المفكرين الذين شكلوا فكر العصور الوسطى الاوربية القديس اوغسطين والقديس توما الاكويني الذين لم تكن افكارهم مجرد فكر لاهوتي وانما فلسفة مسيحية وضعت الحجر الاساس لفكر العصور الوسطى . ان سيادة الفكر الديني كان نتيجة لما تعرضت له الامبراطورية الرومانية من انتكاسات ادت الى ازدياد سلطة الكنيسة ، وبالتالي هو تطور طبيعي لظروف الحياة السياسية ونمو سلطة الكنيسة باعتبار ان الدين هو الفيصل المشترك في حياة عامة الناس ، تأتي اهمية البحث في كون موضوع الفكر الديني للعصور الوسطى الاوربية من المواضيع المهمة التي تساعدنا على فهم تطور الفكر الديني والفلسفي في اوروبا وطبيعة العلاقة بين رجال الدين والمجتمع ، وكيف ساهم رجال الدين في صياغة المفاهيم التي حكمت اوروبا لقرون طويلة وهي ما مهدت لتحويلات كبير لعصر النهضة ، يطرح هذا البحث اشكالية حول طبيعة الفكر الاوربي للعصور الوسطى هل ان سيادة الفكر الديني كان نتيجة لما تعرضت له الامبراطورية الرومانية من انتكاسات ادت الى ازدياد سلطة الكنيسة ، او هو تطور طبيعي لظروف الحياة السياسية ونمو سلطة الكنيسة باعتبار ان الدين هو الفيصل المشترك في حياة عامة الناس هذا ما نحاول الاجابة عنه بوضع الفرضيات المتمثلة بازدياد سلطة الكنيسة نتيجة عاملين مهمين وهي ضعف الامبراطورية الرومانية ونمو سلطة الكنيسة نتيجة لتقدم المجتمع الاوربي .

الكلمات الافتتاحية: الفكر الديني، اوغسطين، توما الاكويني.

Religious Thought in Medieval Europe (Augustine and Thomas Aquinas as Examples)

Saja Mohammed Ali Majeed
College of Education for Women, University of Baghdad, Iraq
Email: Saja.m@coeduw.uobaghdad.edu.iq

ABSTRACT

The concept of religious thought and its influence on the nature of political and social life in medieval Europe is one of the important topics that reveal the relationship between the clergy, the Church, and European society. This study shows how the aspects of life were shaped as a result of the fall of the Roman Empire in Western Europe, and how the intertwining of temporal and spiritual authorities cast its shadow over the scene. Religious thinkers in the Middle Ages, such as Augustine and Thomas Aquinas, played a prominent role in shaping medieval European thought. Their philosophies laid the essential foundation for medieval thought, which was characterized by the dominance of religious ideology. The collapse of the Roman Empire led to repercussions that resulted in the growing authority of the Church. Consequently, the nature of political and social life evolved under ecclesiastical influence, making religion a common factor that intertwined with the daily lives of people. The importance of this research stems from the fact that the subject of religious thought in medieval Europe is crucial for understanding the development of religious and philosophical thought in Europe, the nature of the relationship between the clergy and society, and how the clergy contributed to shaping the concepts that governed Europe for centuries, paving the way for the significant transformations of the Renaissance. This research raises a fundamental question about the nature of European thought during the Middle Ages: Was the dominance of religious thought a consequence of the setbacks suffered by the Roman Empire, leading to an increase in the Church's power, or was it a natural development of political circumstances and the growth of the Church's authority, given that religion was the common denominator in the lives of ordinary people? This is what we attempt to answer by proposing the hypothesis that the Church's power increased as a result of two important factors: the weakening of the Roman Empire and the growth of the Church's power due to the advancement of European society.

Keywords: Religious Thought, Augustine, Thomas Aquinas.



المقدمة :

عد الفكر الديني للعصور الوسطى الاوربية المحرك الاساسي للحياة الاجتماعية والسياسية ، ابتداء من القرن الخامس الميلادي اي بعد سقوط الامبراطورية الرومانية حيث هيمنت الكنيسة الكاثوليكية على كل جوانب الحياة وتدخلت في الحكم السياسي للبلاد ودخلت في صراع مع الاباطرة فكانت سلطتهم الدينية واسلحتهم الروحية المتمثلة باللعنة والمنع والحرمان هي الاقوى وبذلك استطاعت بسط نفوذها على الاباطرة ، وهيمن رجال الدين على الجوانب الفكرية ايضا فكانت اراءهم لا تقبل النقاش او الجدل ، وان اهم ما ميز العصور الوسطى الاوربية كونها فترة تخلف وجهل بسبب سقوط الامبراطورية الرومانية وسيطرة رجال الدين على الامور السياسية والدينية والفكرية للبلاد ومنع الناس من حرية الرأي والتفكير ، واصبح البابا هو الامر والناهي للسلطات الدينية والديوية معا وبذلك استمر الحكم البابوي مسيطرا على عامة الشعب المسيحي .

وابرز المفكرين الذين شكلوا فكر العصور الوسطى هو القديس اوغسطين والقديس توما الاكويني ، فكان اوغسطين احد المفكرين الذين اكدوا على اهمية الايمان قبل العقل ولم يفصل بين اللاهوت والفلسفة بل جعل احدهما مكمل للآخر . ومن اشهر مؤلفاته كتاب (مدينة الله) الذي دافع به دفاعا كبير عن المسيحية ووقف بوجه اتهامات الوثنيين ، وقسم العالم الى مدينتين ارضية وسماوية ودعا الناس للدخول الى المدينة السماوية حيث تكون محبة الانسان لله خالصة ، وهو اول من قدم فكرة التبرير المسيحي للحرب تخلصا من الظلم والاستبداد وبذلك كانت أي حرب تقودها الكنيسة هي حرب عادلة لأنها بأمر الله لتحقيق العدالة وبذلك وقفت الكنيسة ضد اعدائها وخاضت معارك عدة تحقيقا لمصالحها وفرض هيمنتها السياسية والدينية .

اما توما الاكويني فقد اكد على ضرورة العقل والايمان معا أي استعمال البراهين العقلية التي تدل على وجود الله ، وهو بذلك خالف اوغسطين الذي امن ايمانا مطلقا بالله لأن الاكويني استعمل المنطق ليبرهن وجود الله ، لقب بالمعلم الملائكي وكان متأثرا بأفكار ارسطو واعتقد ان قيام دولة هو نتيجة تطور طبيعي للحكم.

اهمية البحث :

يعد موضوع الفكر الديني للعصور الوسطى الاوربية من المواضيع المهمة التي تساعدنا على فهم تطور الفكر الديني والفلسفي في اوروبا وطبيعة العلاقة بين رجال الدين والمجتمع ، وكيف ساهم رجال الدين في صياغة المفاهيم التي حكمت اوروبا لقرون طويلة وهي ما مهدت لتحويلات كبيرة لعصر النهضة .

مباحث البحث:

قسم البحث الى مقدمة وثلاثة مباحث ناقش المبحث الاول اهمية الفكر الديني للعصور الوسطى الاوربية وسبب سيطرة رجال الدين على جوانب الحياة السياسية والدينية والفكرية واهم افكارهم ومعتقداتهم وتحكمهم بعامه الشعب المسيحي ، وتناول المبحث الثاني الفكر الديني عند القديس اوغسطين وقسم الى ثلاثة محاور رئيسة الاول عن حياته ومكانته والمحور الثاني عن اهم ومؤلفاته وتأثير افكاره على مجرى الاحداث السياسية خاصة بعد سقوط الامبراطورية الرومانية ودفاعه عن الدين المسيحي اما المحور الثالث فكانت عن فلسفته وتأثيرها على الفكر الاوربي ، اما المبحث الثالث فنناقش الفكر الديني عند توما الاكويني وقسم الى اربعة محاور رئيسة تناول المحور الاول حياة القديس توما الاكويني والمحور الثاني افكاره ونظرياته اما المحور الثالث فكانت عن افكاره والمحور الرابع عن ماهية الله لدى الاكويني ، حيث عدت افكار هذين المفكرين نموذجا عن الفكر الديني الذي ساد العصور الوسطى الاوربية .

ي طرح هذا البحث اشكالية حول طبيعة الفكر الاوربي للعصور الوسطى هل ان سيادة الفكر الديني كان نتيجة لما تعرضت له الامبراطورية الرومانية من انتكاسات ادت الى ازدياد سلطة الكنيسة ، او هو تطور طبيعي



لظروف الحياة السياسية ونمو سلطة الكنيسة باعتبار ان الدين هو الفيصل المشترك في حياة عامة الناس هذا ما نحاول الاجابة عنه بوضع **الفرضيات** المتمثلة بازدياد سلطة الكنيسة نتيجة عاملين مهمين وهي ضعف الامبراطورية الرومانية ونمو سلطة الكنيسة نتيجة لتقدم المجتمع الاوربي..

المبحث الاول

الفكر الديني واهميته في العصور الوسطى

ظهرت المسيحية في القرن الميلادي الاول وكانت الامبراطورية الرومانية تعاني من فراغ روحي كبير انذاك لم تملئه الديانات الوثنية السائدة في ذلك الوقت ، وانتشرت المسيحية في بداية الامر بين فئات الدنيا وخاصة العبيد ولكنها ما لبثت ان انتشرت في مختلف الاوساط الاجتماعية وفي انحاء الامبراطورية لتتحول الى قوة سياسية واجتماعية كبيرة ، وساعدت عوامل عدة على سرعة انتشار الدين الجديد منها اتساع رقعة الامبراطورية الرومانية واتصال اجزاء عدة منها بمواصلات جيدة وتجارة نشطة اضافة الى سيادة اللغة اليونانية واللاتينية في قسمها الشرقي والغربي وهذا ما سهل مهمة المبشرين بالديانة الجديدة (برون، 2006، الصفحات 55-56). وبدأت العصور الوسطى الاوربية بعد انهيار الامبراطورية الرومانية الغربية في منتصف القرن الخامس الميلادي ، وشهدت هذه المدة اضطرابات وفوضى سياسية لكنها لم تستمر طويلا ؛ وذلك لمحاولة بعض القائمين على الحكم في أوروبا ايجاد نوع من الامن والسلام النسبي ونجحوا نجاحا ملحوظا في تحقيق هذا الهدف . (المقرحي، 1996، صفحة 20).

تهيأ للكنيسة بعد سقوط الامبراطورية الرومانية وضعف الاباطرة الرومان الاجواء الملائمة لازدياد سلطتها وارتفع شأن البابا في أوروبا ، فبسطت الكنيسة سيطرتها على الحياة السياسية والاجتماعية وعلى المدارس والجامعات (عجيبه، 2004، الصفحات 5-6) ، وشهدت العصور الوسطى صراعا سياسيا بين الاباطرة والباباوات وكان للأباطرة والملوك جيوشهم ، اما الباباوات فكانت السلطة الدينية والاسلحة الروحية هي الاقوى وتمثلت قراراتهم في الحرمان والمنع واللعنة وبذلك استطاعت ان تسيطر نفوذها على الاباطرة والناس جميعا (خرفي، 2019-2020، الصفحات 10-11) ، فكانت سيادة الفكر الديني هو العنصر الفاعل على المجتمع انذاك ، نتيجة لضعف الاباطرة الرومان اثر سقوط الامبراطورية الرومانية ، فأصبحت الرهينة المثال الاعلى للحياة وتمحور التفكير حول الناحية الدينية و الاخروية دون الاهتمام بالنواحي الدنيوية وهذا نتيجة طبيعية لهيمنة الكنيسة على كافة النواحي ، ومن هنا زاد نفوذ الكنيسة واصبحت تهيمن على المجال الفكري وكان العلماء هم أنفسهم رجال الدين وتعاليمهم لا تقبل النقاش او الجدل (المقرحي، 1996، صفحة 21). انتهت الامبراطورية الرومانية في الغرب واصبحت ايطاليا من الوجهة القانونية تابعة للإمبراطورية الرومانية ، فكانت البابوية هي القوة الوحيدة التي التفت حولها الايطاليون ورأوا فيها الزعامة والسند الكفيلة لحمايتهم . (عاشور، 1972، صفحة 77)، ولم يكتف الباباوات بذلك بل اقاموا دولتهم الخاصة المعروفة بالدولة البابوية في وسط ايطاليا وكان لهم جيشهم الخاص ومحاكمهم الخاصة و بدئوا المطالبة بالسيادة الدينية والسياسية (برون، 2006، صفحة 60) . وبذلك كان سيادة الفكر الديني هو اهم ما ميز فترة العصور الوسطى الاوربية التي عرفت بكونها فترة جهل وتخلف نتيجة سيطرة الكنيسة ورجال الدين على الامور السياسية والدينية وحرموا الناس من التعبير عن فكرهم ورائيهم . (مطر، 2018، صفحة 29). وبذلك ارضخت الكنيسة الكاثوليكية ورجال الدين الاباطرة تحت امرتهم ، واصبح البابا هو الامر والناهي للسلطات الدينية والدنيوية ، وبذلك بسطت الكنيسة نفوذها على جميع انحاء أوروبا (خرفي، 2019-2020، صفحة 11).



وللكنييسة قانونها الخاص الذي يعرف ب(القانون الكنسي) وكانت هذه القوانين تمارس بشكل مباشر في النواحي الحياتية للمجتمعات ، فالزواج وكل ما يتعلق به تحت سلطة الكنيسة ، وتقليد المناصب ، والتشريعات الاخلاقية وهي المنفذة اداريا لكل العقوبات الناشئة عن الاخلال بتلك التشريعات (كردي، 2011، صفحة 2). كانت الكنيسة في اغلب الاحيان تنادي بشعار "لتخضع كل نفس للسلطات العليا فلا سلطة الا سلطة الله ، وسلطتنا قررنا الله لذلك كل من يقاوم السلطة يقاوم قضاء الله" ، هذه الشعارات هي ما ميز الفكر الديني وكانت كفيلا باستمرار الحكم البابوي وتأثر على النفوس وتحكم سيطرتها على عامة الشعب المسيحي (اسماعيل، 2017، صفحة 49).

وحضي السلم الكنسي باهتمام كبير من قبل الكنيسة الكاثوليكية ، وهو يضم درجات مختلفة من رجال الدين ففي اعلى السلم الكرادلة Cardinals وهم مجموعة من رؤساء الاساقفة ، ثم رؤساء الاساقفة Archbishop، ثم الاساقفة Bishops ، ثم القساوسة Priests ويأتي بعدهم الكرادلة الذين كانوا مجموعة مختارة من كبار الاساقفة كانت مهمتهم الاولى (مستشارين للبابوية) لكن نفوذهم اخذ بالتزايد تدريجيا لمهامهم العديدة ، وقد انقسم العالم المسيحي الغربي الى اسقفيات واسعة يرأس كل منها اسقف يشرف على شؤون الكنيسة ورجال الدين في اسقفيته ، ثم انقسمت الاسقفيات الى ابرشيات صغيرة بكل منها كنيسة يشرف عليها قس (الحجي، 1998، الصفحات 282-283). واطلقت كلمة بابا على كل اسقف لكن مع بداية القرن السادس الميلادي اصبح المصطلح يستخدم في الكنيسة الغربية للدلالة على اساقفة روما ، ويختار البابا من بين اعلى رجال الدين المعروفين بالكرادلة ، ويكون صاحب السلطة الفعلية ، وله الحق في تعيين الكرادلة والاساقفة وعزلهم وتأسيس الابشيات وتقسيمها (كردي، 2011، الصفحات 4-5).

اما في ما يتعلق بمسألة زواج رجال الدين فقد انقسم رجال الدين الكاثوليك الى قسمين : الاول رجال الدين الكهنوت العلمانيين وفضل هؤلاء حياة العزوبية ، والقسم الاخر الذي وجد صعوبة الحياة لرجال الدين دون ان يتخذ زوجة لذا اباح فكرة الزواج ، وعارضت الكنيسة الغربية هذا الامر ودعت رجال الدين بضرورة طرد زوجاتهم ، ونجحت الكنيسة في اتخاذ موقف صارم ضد زواج رجال الدين ومن لا يلتزم يعد خارجا عن تعاليم الكنيسة (الحجي، 1998، الصفحات 285-286). وهذه اهم الافكار الدينية التي امتازت بها العصور الوسطى الاوربية بعد انهيار الامبراطورية الرومانية.

الفساد في الكنيسة :

بدأت مظاهر الفساد تدب في البناء العام للإدارة الكنسية منذ بدايات القرن الحادي عشر ، حيث برزت العديد من التداخلات في ادق تفاصيل الكنيسة والمتمثلة في منصب البابا حيث كان عرضة للتنافس بين اصحاب النفوذ لدرجة اصبح فيه يباع ويشترى ، اضافة الى مظاهر الفساد والترهل الاداري والتي اصبحت من السمات المرافقة للإدارة الكنسية (برون، 2006، صفحة 71). وفقدت الكنيسة تلاحمها وتاهت في مآهات النظم الادارية وسرقة الرتب الدينية وبيعها ، اضافة الى الكسب الديني غير المشروع عن طريق صكوك الغفران ، فكانت الفترة الواقعة بين القرنين التاسع والحادي عشر فترة اهمل للكنيسة وتوجيهاتها ولم يفكروا في دعوة المجاميع الدينية وتركوا هذه المهمة للملوك وحسب مقدار سيطرتهم على الكنيسة مما ادى الى تفكك الكنيسة وعدم وجود رابطة تربطها بغرب اوربا (كردي، 2011، صفحة 16) . حتى غدا البابا فارس نبيل لا سلطان له على كنائس غرب اوربا في فرنسا والمانيا وايطاليا وانكلترا واسبانيا وغيرها ، وهي كنائس تتباين فيها مدى استقلاليتها عن السلطات الزمنية اما الاساقفة فكان الباباوات اسوة سيئة لهم فسرعان ما اصبحوا من رجال الاقطاع التابعين للملك او كبار الدوقات ، كما ادى زواجهم الى انصرافهم نحو جمع الثروة لأبنائهم وهكذا خرجوا عن تخصصهم الديني الى عقد مجالس قضائية وجمع الضرائب (عاشور، 1972، صفحة 291).

ان مسألة سمو الكنيسة في اوربا العصور الوسطى مر بعدة مراحل تاريخية اولها النزاع مع الامبراطور الروماني قسطنطين الذي اعترف لاحقا بديانة المسيحية ، فقد رأى قسطنطين بضرورة ان يكون الامبراطور هو



صاحب السلطة الفعلية ويفرض سلطته السياسية والعسكرية والادارية على العالم ، غير ان الكنيسة وقفت له بالمرصاد بوصفها وريثة الرب وحارسة الدين وتمسكت الكنيسة بنظرية سموها على الامبراطور الروماني الامر الذي سبب نزاعات مستمرة طول تاريخ العصور الوسطى بين الكنيسة والاباطرة ، الى ان تمكن العلمانيين من تحقيق الانتصار النهائي على الكنيسة بفضل العوامل الفكرية والسياسية المختلفة ليتحول البابا الى رمز ديني لا يآثر على مجرى الاحداث في أوروبا (طحاوي، صفحة 104) وتلاشى الفكر الديني بتلاشي الكنيسة وضعف سلطة البابا الدينية .

نستنتج من ذلك ان فترة العصور الوسطى الاوربية امتازت بهيمنة الكنيسة ، حيث سنحت الفرصة بعد سقوط الامبراطورية الرومانية الى سيادة البابوية باعتبارها الوريث الشرعي للحكم ، ولا سلطة اعلى من سلطة الله والبابا هو وريث الله وخليفته على الارض هذه الشعارات كانت كفيلا بهيمنة رجال الدين على الجانب الفكري وتحكمهم في الامور السياسية والاقتصادية والفكرية للبلاد وهذا ما اثار الاباطرة ورفضوا تدخل البابا في الامور السياسية فكان الصراع على اوجه بين الطرفين طيلة فترة العصور الوسطى التي امتازت بهيمنة الفكر الديني فيها وسرعان ما تلاشت الافكار الدينية بعد ضعف الكنيسة بفضل العوامل الفكرية والسياسية وانتشار الفساد داخل الكنيسة .

المبحث الثاني

الفكر الديني عند القديس اوغسطين

المحور الاول

القديس اوغسطين : حياته ومكانته (354- 430م)

يعد القديس اوغسطين احد قديسي الكنيسة له وجهات نظر دينية سياسية ساعدت على شهرته ، ولد في 13 نوفمبر عام 354م في تاغشطا في بلدة نوميديا المعروفة اليوم بسوق اهراس (الجزائر) (اسماعيل، 2017، صفحة 65) وهو احد علماء اللاهوت اللاتيني تبحرا في المعرفة واول من وضع الخطوط الاساسية لعلم اللاهوت في العصور الوسطى واكثر توفيقا من معاصريه في دمج التعاليم المسيحية بالفكر اليوناني (هليستر، 1988، صفحة 47) اضافة الى ذلك عد اوغسطين اشهر فلاسفة العصور الوسطى الاوربية ، شكل فكر القرون الوسطى كما لم يفعل احد قبله ولم يبرع في مجال الفلسفة فحسب وانما ايضا بعلم اللاهوت والين الشعبي والفكر السياسي ، كان خطيبا ومعلما للخطابة واصبح لاحقا اسقف مدينة هيبو التي تقع الان في شمال شرق الجزائر. (للفلسفة، 2020، صفحة 10). وعليه فان شخصية اوغسطين عدت شخصية محورية جمعت بين الفكر والفلسفة واللاهوت في العصور الوسطى مما يفسر تأثيره العميق على الفكر المسيحي، وانعكست مكانه اوغسطين الفكرية في مؤلفاته التي شكلت اساس الفكر الديني وابرزها كتاب مدينة الله وهو ما سنتناوله في المحور الثاني .

المحور الثاني : ابرز مؤلفات اوغسطين

يعد كتاب (مدينة الله) الذي وضعه في حقبة مأساوية من تاريخ أوروبا وهي سقوط الامبراطورية الرومانية بيد البرابرة مما ولد دمار في تلك المدينة التي عدت عاصمة الدنيا ، وكان مدينة الله ردا على الاعتقاد بأن الالهة تخلت عن روما ، وهكذا شرع بكتابه عام (413_ 426م). (سنا، 2017، صفحة 38). نجد فلسفة اوغسطين في هذا الكتاب الذي دافع به عن المسيحية ضد اتهامات الوثنيين الذين اعتقدوا ان المسيحية السبب في تدهور



اوضاع الامبراطورية الرومانية وبذلك دخل مجال السياسة الذي كان بعيد كل البعد عنه ووهب نفسه للدفاع عن الدين المسيحي ضد هذه الاتهامات ، واسس نظرية سياسية جديدة تعد من اهم ما عرف به اوغسطين الا وهي التفسير المثالي من خلال تقسيمه العالم الى مدينتين (مدينة الظلام وهي الارضية ومدينة النور وهي سماوية) (اسماعيل، 2017، الصفحات 117-118).

ان كتاب مدينة الله ليست اطروحة للفلسفة الاجتماعية او السياسية بل هو التماس موسع لحث الناس للدخول الى مدينة الله او المثابرة فيها ، ومقابلها المدينة الارضية وينتمي المرء الى مدينة الله اذا كانت محبته لله خالصة على حساب محبة لنفسه وللمدينة الارضية اذا جعل محبة الله تاليه لمحبه لنفسه ، ونهج اوغسطين نهجا انجيليا يقر بالخلق ووجود الاخرة ووضح عدم الخلط بين المدن السماوية والارضية من جهة وبين المؤسسات الدنيوية للكنيسة والدولة من جهة اخرى، فكل من الكنيسة والدولة وخاصة الكنيسة هي هيئة مختلطة يتعايش فيها افراد من مدينة الله والمدينة الارضية وتميزهم واضح والله يفصل بين المدينتين في نهاية الزمن (للفلسفة، 2020، الصفحات 62-63). وعد المثل الاعلى للدولة هو المثل المسيحي والدولة تستمد سلطتها مباشرة من الله ، بمعنى ان لا تكون هناك دولة علمانية بل تكون دولة دينية لكن ليست دينية خالصة بل تجمع الطابع العلماني والديني من اجل تحقيق السعادة في الدنيا والاخرة ، فالعلاقة بين الدولة والكنيسة تكون من اجل اشراف الكنيسة على الدولة لأجل توجيهها الى الحياة الاخرة والدولة تساعد الكنيسة في تحقيق اغراضها ، وبذلك يكون للكنيسة النصيب الاكبر ويلاحظ عدم الفصل بين الاثنين الكنيسة والدولة وانما جعل احدهم مكمل للآخر وبهذا يتحقق السلام على الارض (دكار، 2016، صفحة 5) تمثل هذه الرؤية اساسا لاهوتيا لفهم التاريخ والسياسة معا ، فقد رسخ فكرة ان الكنيسة تمثل مدينة الله على الارض وبذلك فهي ارفع سلطة من الدولة الزمنية .

المحور الثالث: فلسفته واثرها في الفكر الديني الوسيط

كان اوغسطين في بدايته لاهوتيا على خلاف ما عرف عنه كونه فيلسوف بل ظهرت فلسفته في مناظراته الفكرية وفي دفاعه عن الدين المسيحي ، ولم يفصل اوغسطين بين اللاهوت والفلسفة بل كانت مكملة احدهم للآخر ، فقد اهتدى في بداية الامر الى حتمية الرؤية الفلسفية من خلال الكتاب المقدس الذي نظر اليه على انه مصدر نهائي للحقيقة التي تخص الانسان بصورة عامة (اسماعيل، 2017، صفحة 81) .

تتلخص فلسفة اوغسطين في ان العالم منذ ان خلقه الله وهو في صراع بين نوعيين من الحب : حب الانسان لنفسه وحب الله لهذا انقسمت المدينة الى مدينتين : مدينة ارضية ومدينة سماوية ، وانقسم التاريخ الى دنيوي ومقدس ، والامبراطورية الرومانية والبابلية نموذج من الدولة الدنيوية وأورشليم هي مقام المدينة السماوية (دكار، 2016، صفحة 4). واستطاع الفكر المسيحي ان يسلم بنظرية العناية الالهية ، وهي التسليم بمشيئة الرب والايان بان الله خالق هذا الكون وبكلمته يحافظ عليه في الوجود ، وبذلك كانت العناية الالهية قد أرسى معالمها في التاريخ عن طريق القديس اوغسطين الذي وضع لها قوانين تتماشى مع عقيدة الايمان المسيحي ، ورأى ان فكرة العناية الالهية هي تجسيد للنظام في الكون وان كل شيء من خلق الله وحكمته ، والله هو خالق الاشياء وهو الذي يحفظها (اسماعيل، 2017، صفحة 99) .

درست فلسفة اوغسطين قضيتين مهمتين هي: الصراع بين الوثنية والمسيحية نتيجة تعارضهم التام وقضية تصوره لطبيعة ملكوت الرب ، ففي القضية الاولى احتدم الصراع بين مؤمن الدين المسيحي والدعاة الى عبادة الاوثان والامر الذي زاد من حدة الصراع سقوط روما على يد البرابرة حيث بقي الرومان متمسكين بعقائدهم الوثنية وارتد الكثير عن الدين المسيحي وتساءل معظمهم عن عدم قدرة الله على حماية المدينة ، هذه الاسئلة خلقت الشك في نفوس المؤمنين بالديانة المسيحية وتدخل اوغسطين لإيجاد اجوبة مقنعة ، فقد عارض اوغسطين مبدأ ان المسيحية "ضامنة للسعادة في الحياة والاخرة " وافر ان كل الاديان التوحيدية تدعو الى الخلاص من الدنيا لتأمين السعادة في الاخرة ، وجادلهم في معتقدتهم بأن الالهة غضبت منهم جراء نكرانهم لها فقال لهم " هل



من الفطنة تسليم روما الى اولئك الالهة المنهزمين ليؤمنوا لها النصر " فكيف لهم ان يقبلوا بالهزيمة وروما كانت خاضعة لهم بل هم لا يستطيعوا حتى حماية انفسهم من عدوان البرابرة ، والقضية الثانية تصور جديد لمعنى ملكوت الرب ورأى ان الحياة الابدية تتأسس في مدينة الله التي هي اعلى واعظم من الدنيا والمكان الذي يطمح الانسان الى وصوله (اسماعيل، 2017، الصفحات 119-120). ونتيجة الصراع بين الخير والشر ونتيجة امتزاج التعاليم المسيحية بالتشريعات الجرمانية بعد سقوط الامبراطورية تبنت الكنيسة فكرة الحرب المقدسة ، واقدم اوغسطين على توفير غطاء الكنسي لفكرة الحرب وذلك بالترويج على ان الرب هو الذي يأمر بالحرب لتحقيق السلام ، وبذلك حق للحكام المسيحيين شن الحرب دفاعا عن الحق وهي حرب عادلة لكونها مبنية على امر مقدس وهكذا قدم اوغسطين التبرير المسيحي الاول للحرب وذكر ان الحرب العادلة يمكن ان تقوم المسيحية بشنها حين يتجاهل شعب ما او مدينة ما حقوق الآخرين ، واشترط ان الحرب العادلة تشن بواسطة حاكم شرعي وان يكون لها سبب عادل والحرب هي الوسيلة الوحيدة لاستعادة الحقوق (طحاوي، الصفحات 113-114). وان ابرز افكار اوغسطين حول الصراعات والحروب اعتقاده ان الصراع بين البشر ينضوي تحت تقدير الله فالحرب هي سلاح للإصلاح وسحق للفساد البشري ، والصراع بين الناس يحدث عندما يطغى الظلم وتبتعد العدالة ، لذا رفض اوغسطين الظلم والتسلط (دكار، 2016، الصفحات 8-9). هكذا وضع اوغسطين حجر الاساس للفكر الديني الذي جمع بين اللاهوت والفلسفة وربط العقيدة المسيحية بالواقع التاريخي والسياسي لعصره .

وفي عام 430م مرض اوغسطين وانتقل بعدها الى الحياة الاخرى وكان اخر طلب له ان تكتب مزامير التوبة على الحائط المجاور لسريره ، فكان يقرأها والدموع تسيل قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة بعد ما ترك لنا ثروته معرفية ضاع منها القليل ووصل الكثير (اسماعيل، 2017، صفحة 69) .

نستنتج بذلك ان الفكر الديني لدى اوغسطين يتلخص بأن العالم ينقسم الى مدينتين مدينة ارضية ومدينة سماوية ودعا الناس للدخول الى المدينة السماوية (مدينة الله) اذا كان حب الانسان لله خالصا ، اما اذا كانت محبته لنفسه فهو في المدينة الارضية . كرس نفسه للدفاع عن الدين المسيحي والكنيسة وعد المثل المسيحي هو المثل الاعلى للدولة الذي يستمد السلطة مباشرة من الله ، وبذلك علت كلمة الكنيسة على الدولة وروج فكرة ان الرب هو الذي يأمر بالحرب لتحقيق السلام لذلك كانت اي حرب تخوضها الكنيسة هي حرب مقدسة بأمر من الله ، وبذلك اصبحت الكنيسة هي المسيطرة على الحياة السياسية والدينية على حد سواء وهكذا طغى هذا الفكر في اوربا المسيحية طيلة العصور الوسطى وحتى عصر النهضة .

المبحث الثالث : الفكر الديني عند توما الاكويني

المحور الاول : حياة توما الاكويني ومكانته الفكرية والدينية

يعد الاكويني من ابرز فلاسفة ولاهوتي العصور الوسطى وهو من اصل ايطالي ولد بين عامي 1221-1222م ، احتل مكانة مرموقة في مجال الفلسفة الوسيطة ولقب بالمعلم الملايكي ، نشأ في اسرة ارسنقراطية ذات نفوذ سياسي كبير ، تلقى منذ صغره تعليمه الاولي في دير الرهبان البندكي ، حيث مكث مدة تسع سنوات علم خلالها العلوم المدرسية ثم واصل دراسته الجامعية في نابولي بإيطاليا ثم انضم الى رهبنة الدومنيكان وسخر نفسه لخدمة المعتقدات الكنسية وخاصة الارثوذكسية ثم انتقل الى باريس عام 1252م عين ضمن معلمي اللاهوت في الجامعة حتى عام 1259م واخذ يتنقل بين ايطاليا وباريس حتى استقر الحال به في مدينة نابولي وتوفي عام 1274م. (البرماوي، 2017، صفحة 149). يتضح ان نشأة الاكويني الدينية في بيئة مسيحية لعبت دور اساسي في تشكيل افكاره الدينية والفلسفية لاحقا ، الامر الذي جعله يحتل مكانة مرموقة في الفكر اللاهوتي والفلسفي المسيحي .



المحور الثاني : اهم افكاره ونظرياته

قدم الاكوييني نظرية عملية في الجانب السياسي ، حيث رفض منطق ان حياة الانسان على الارض هي نتيجة خطيئة ارتكبها ادم في الجنة ويؤمن بأن الحياة على الارض نتيجة تطور طبيعي اقتضت بالضرورة ظهور الدولة كي يتحقق الخير العام ، وتولدت لديه قناعة تفيد ان الانسان ليس فرد منعزلا فالإنسان ولد كي يعيش مع اقرانه في مجتمع ليحقق ما يطمح اليه فهو غير قادر على تلبية احتياجاته بالكامل الا من خلال التعاون وبذلك رفض فكرة الحق الالهي للملوك فالسلطة ظاهرة طبيعية من اختصاص العقل البشري قبل ان يكون من اختصاص علم اللاهوت ، بمعنى ان السلطة حق بشري والعقل يصنع المجتمع السياسي (زوير ، 2018، صفحة 196). تأثر توما الاكوييني بأرسطو واخذ منه الكثير من الافكار ورأى الاكوييني الدولة كما كانت عند أرسطو بأنها مؤسسة طبيعية تقوم على طبيعة الانسان ، اي ان الدولة يتحكم بها القانون الطبيعي ، ورفض فكرة التفكير المسيحي للقديس اوغسطين بأن الدولة او المجتمع السياسي كانت نتيجة الخطيئة ، وانما الانسان يميل الى الاجتماع مع الاخرين فهو كائن اجتماعي وسياسي بطبعه وهذا الاندفاع الاجتماعي هو اصل نشأة الدولة في نظره (منال، 2021، الصفحات 24-25). يبدو ان تأثر الاكوييني بأفكار ارسطو هي اساس فكره الديني والسياسي وهو بذلك يعارض فكر اوغسطين وعد الحياة على الارض نتيجة لتطور البشرية.

المحور الثالث : مؤلفاته

عرف عن حياة القديس توما الاكوييني بأنها قصيرة ، الا انه على الرغم من ذلك ترك عدة مؤلفات عدة حيث تعد مؤلفات الاكوييني بمثابة تركيبة خارقة للمألوف من الايمان والعقل واللاهوت والفلسفة ، ويمكن تقسيم مؤلفات الاكوييني الى خمسة اقسام وهي : شروح على الاسفار المقدسة و شروح فلسفية ولاهوتية وكتابات تناولت المسائل المتنازع عليها ، ككتابات حول مواضيع مثل "في ماهية الوجود" و "في خلود العالم" و الخلاصتان وهما " الخلاصة ضد الخوارج" و "الخلاصة اللاهوتية" ولم يعتمد الاكوييني في الاخيرة (الخلاصة اللاهوتية) على المنطق الجاف والفكر العقلاني فقط ولكن على الروحانية العميقة والفكر اللاهوتي المتعلق بقوة بحياة الكنيسة وروح العقيدة (البرماوي، 2017، صفحة 150).

وأولى الاكوييني القانون اهمية كبيرة وقسمه الى اربع قوانين وهي :

- 1_ القانون الازلي وهو القانون الذي يحكم الله العالم من خلاله وهو مصدر القانون الطبيعي .
- 2_ القانون الطبيعي هو عكس القانون الازلي فهو قانون تتحكم فيه الطبيعة البشرية .
- 3_ القانون الالهي هو القانون الذي يتمثل في الاحكام الصادرة عن طريق الوحي فهو قانون صادر من الله عن طريق الوحي .
- 4_ القانون الوضعي البشري وهو القانون الذي يلائم البشر فهو قانون انساني محض . (منال، 2021، الصفحات 28-30) .

المحور الرابع : ماهية الله لدى الاكوييني

يبين الاكوييني بأننا لا نستطيع معرفة الله عن طريق العقل مؤكدا ان الجوهر الالهي يفوق تصور العقل ، وهو بذلك يقول باننا لا نستطيع العقل البشري ادراك ماهية الجوهر الالهي ويقول القديس توما الاكوييني " ان المعرفة الطبيعية للعالم هي معرفة الله واكتشافا لذاته الالهية المقدسة " بمعنى انه يمكن التعرف على الله من خلال اعماله وليس من خلال ذاته ، وذلك عن طريق النظر الى الكون المحيط والذي نستطيع ان ندركه بعقلنا (البرماوي، 2017، الصفحات 153-154). واوضح الاكوييني ان وجود الله ليس وجودا فطريا وانما هو وجود مبني على ادلة منطقية لذلك وجه نقد شديد لأولئك الذين يزعمون ان وجود الله واضح بذاته بقوله : ان وجود الله بالفطرة في نفس الانسان ليس وجود الله ، بل المبادئ التقليدية التي يستطيع ان ينتقل منها الى اثبات وجود الله فليس الوجود فطري وانما البراهين العقلية هي التي يستدل بها على وجود الله ، ومن خلال عرض رد الاكوييني في اثبات



وجود الله فهو يقصد بذلك الرد على آراء القديس أوغسطين وغيره في اثباتهم لوجود الله وبالمقارنة مع فكر أوغسطين فإن القديس أوغسطين آمن بوجود الله إيماناً مطلقاً ولم يشك فيه ، بينما الاكوييني اقتنع ان وجود الله ليس واضحاً بذاته وانه يجب البرهنة عليه بطريقة منطقية (عويس، الصفحات 2122-2124) . وبهذا يمكن القول ان الفكر الديني لدى الاكوييني امتاز بفكرة أن حياة الانسان لم تكن نتيجة خطينة وانما الحياة كانت نتيجة تطور طبيعي فالإنسان كائن اجتماعي وهو اصل نشأة الدولة ، ووضح الاكوييني باننا لا نستطيع معرفة الله عن الطريق العقل فقط بل يمكن التعرف عليه من خلال اعماله كالنظر الى الكون المحيط فنستطيع ادراكه بالعقل فالبراهين العقلية هي التي نستدل بها على وجود الله وبذلك رد على آراء أوغسطين في اثبات وجود الله والذي كان مؤمناً إيماناً مطلقاً بالله. اضافة الى ذلك بالرغم من قصر حياته الا انه ترك العديد من المؤلفات التي شكلت فكر العصور الوسطى الاوربية .

الخاتمة:

امتازت العصور الوسطى الاوربية بهيمنة رجال الدين على كافة جوانب الحياة وخاصة الجانب الفكري مستغلة سوء الاوضاع السياسية عقب سقوط الامبراطورية الرومانية ، فكانت آراء رجال الدين لا تقبل النقاش او الجدل مستغلين سلطتهم الدينية فكانت الاسلحة الروحية هي الاقوى والمتمثلة بقرارات الحرمان واللعنة ، ونتيجة لتطور الحياة السياسية عقب سقوط الامبراطورية ومجيء اباطرة ضعاف هيئ المجال للكنيسة لدخول عالم السياسة وهنا بدأت بفرض سيطرتها ليس فقط على النواحي السياسية فحسب وانما ايضا على الصعيد الفكري والثقافي والاجتماعي، وبدأت الافكار الدينية تغطي على طبيعة الحياة الفكرية والسياسية للعصور الوسطى الاوربية وهذا نتيجة لضعف الامبراطورية سياسياً عقب سقوطها على يد البرابرة الامر الذي فسح الطريق لرجال الدين للتعبير عن رأيهم وفكرهم وبالتالي تأثيرهم على المجتمع ، اضافة الى ذلك تطور الحياة سياسياً كان قد لعب دوراً أيضاً فقد ظهر مفهوم الدولة ونمو سلطة الكنيسة ، ومن خلال دراسة الافكار الدينية لدى أوغسطين والاكوييني يتضح انه لم يكن مجرد فكر لاهوتي بل ترك اثر عميق في الفلسفة المسيحية والفكر الغربي عامة ولا يزال تأثيره حاضراً حتى اليوم في ميادين الفكر الديني والسياسي .

المصادر

1. احمد سيد يونس عويس. (بلا تاريخ). قضية التوفيق بين الدين والفلسفة في العصر الوسيط القديس توما الاكوييني نموذجاً. مجلة قطاع اصول الدين.
2. احمد عبد السادة زوير. (2018). التسامح الديني في فكر توما الاكوييني. (عدد 7).
3. احمد علي عجيبة. (2004). اثر الكنيسة على الفكر الاوربي (المجلد 1). القاهرة: دار الافاق العربية.
4. الياس بن عبدالله دكار. (2016). جدلية الفكر الديني والسياسي عند القديس أوغسطين وتأثيره في التعايش المسيحي- الاسلامي القرن (19-20 نموذجاً). الجزائر : جامعة باجي مختار عنابة.
5. جفري برون. (2006). تاريخ اوربا الحديث (المجلد 1). (علي المزروقي، المترجمون) الاردن: الاهلية للنشر.
6. حاتم طحاوي. (بلا تاريخ). اوربا العصور الوسطى ، القانون الطبيعي والكنيسة والاقطاع. مجلة تفاهم.
7. حياة ناصر الحجي. (1998). النظم الدينية في اوربا العصور الوسطى. المجلة العربية الانسانية(عدد 53).
8. رقيق اسماعيل. (2017). مسألة اللاهوت السياسي عند القديس أوغسطين . الجزائر: جامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة.



ISSN online: 2791-2272

ISSN print: 2791-2264

مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology

www.ejhas.com

editor@ejhas.com

Volume (20) December 2025

العدد (20) ديسمبر 2025

9. س. ورن هلستر. (1988). اوربا في العصور الوسطى. (محمد فتحي الشاعر، المترجمون) مكتبة الانجلو مصرية.
10. سعيد عبد الفتاح عاشور. (1972). تاريخ اوربا في العصور الوسطى . بيروت: دار النهضة.
11. علاء محمد مطر. (2018). مبادئ العلوم السياسية (المجلد 2).
12. عماري منال. (2021). اشكالية نظام الدولة عند توما الاكويني. جامعة قاصدي مرباح - وقلّة .
13. كمال خرفي. (2020-2019). الاصلاح الديني في اوربا وعلاقته بالتنوير الفلسفي مارتن لوثر نموذجا. جامعة محمد خيضر بسكرة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.
14. محمدي سمية ، بوسرية سناء. (2017). فلسفة التاريخ عند القديس اوغسطين . جامعة قاصدي مرباح ورقلة .
15. موسوعة ستافورد للفلسفة. (2020). فلسفة العصور الوسطى. (ناصر الحلواني، المترجمون) مجلة الحكمة.
16. ميلاد أ. المقرحي. (1996). تاريخ اوربا الحديث (المجلد 1). بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.
17. نادية عبد الغني البرماوي. (2017). مشكلة العلم الالهي عند القديس توما الاكويني.
18. نيفين ظافر حسيب كردي. (2011). الاوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الاوربي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر. فلسطين: الجامعة الاسلامية _ بغزة.